الكتاب الجديد

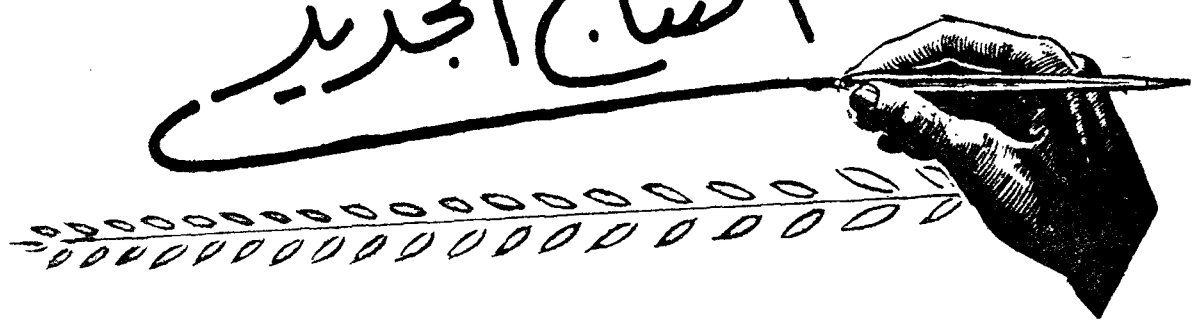

دراسات فنية في الادب العربي

تأليف الدكتور عبد الكريم اليافي

*

اصدر الدكتور عبدالكريم اليافي الاستاذ في جامعة دمشق كتابا ضخما يتالف من ـ ٦٧٠ ـ صفحة عنوانه « دراسات فنية في الادب العربي » ويتضمن الكتاب مقدمة جيدة يتحدث فيها المؤلف عن مزايا اللغة العربية ، وهو يرى في « خدمة اللغة العربية خدمة للقومية العربية وخدمة في الوقت نفسه للحضارة الانسانية » ويعتقد ان كل تهاون في شأنها معناه التفريط في حق اعلى روابط الوطن العربي ، والتقاعس في جنب اغلى كنوز التراث الانساني ، وذلك ما يراه معه كل عربي ،وفي الكتاب موضوعات ستة يبحثها المؤلف بحثا فيه استفاضة : هي : القيم الجمالية ـ ملامح من اطوار الشعر العربي ـ الشعر العربي وفكرة الزمان ـ الرمز في الشعر العربي ـ الازهار والرياحين والبقول والفاكهة في الشعر العربي ـ تطور المجتمع العربي من خلال تطور الفكاهة ـ ويلاحظ الدكتور ان هذه البحوث متفرقة في الظاهر ، كل بحث يصلح ان يكون موضوعا لرسالة مستقلة ، ومع ذلك فهو يرى ان بعضها مشدود الى بعض بخالجة التامل الفني وبلون من النظر جديد الى ادابنا القديمة، يحاول ان يمتع وان يقنع ما استطاع الى الامتاع والى الاقناع سبيلا.

« ولم يكن لنا بد في البداية من ان نوضح دلالات « القيم الجمالية » كما جاءت منتشرة في حقول تلك الاداب مستندين في لم شتاتها وتنسيقه الى ما ادت اليه فلسفة الفن من دراسات حديثة كان قصدنا الاصلي تجلية الافكار العربية ، فلم نعرض من نتف الفلسفات الفنية الحديثة الا ما رأيناه يزيد في وضوح تلك الافكار ، ثم اضفنا الى العرض بعض المناقشات التي وجدناها لازمة ومفيدة ، فاذا نسبنا الاثار الادبية بعد ذلك الى تلك القيم عرفنا حقيقة دلالاتها .

« ولقد فكرنا مليا منذ ان كنا طلابا ندرس تاريخ الفن في الاطوار التي مر الشعر العربي القديم بها ، فقدمنا رأينا في ذلك حين جلونا « ملامح من اطوار الشعر العربي » لقد اصبحنا في عصر نستطيع ان ننظر فيه الى حركة ذلك التطور العميقة ترتسم على جدران التاريخ دون ان نتقيد بمذهب من المذاهب او بنظرة من النظرات .

« ان التطور سنة الاشياء جميعها وقانونها المبرم ، به يبرز تاثير الزمان الموضوعي فيها ، ولكنا هنا في الفن اردنا بعد ذلك ان نعكس الامر ، فنبحث في الفكر الفني كيف ينشىء هو زمانه الخاص ويحاول ان يجعله مستقلا ما استطاع ، وكيف يذلل فكرة الزمان الخارجي من وجهات متعددة ، فاما ان يلونها بطريق الصيغة والتفعيلات والايقاع ، واما ان يعتمدها لتسريع الزمان او ابطائه او التخلص من قيوده واعتباراته وما شابه ذلك لغاية الامتاع والاعجاب، وقد عرضنا ذلك كله بايجاز في بحث « الشعر العربي وفكرة الزمان».

« ولما كانت العبارات رموزا الى الافكار والى الصور النفسية والشعرية كان من الطبيعي ان يتأمل كل باحث قضية الرمز في البيان وان يبلغ الى تأمله في الشعر على وجه الخصوص ، ولم نجد من الباحثين الحديثين من نظر الى الشعر العربي القديم النظر الكافي من هذا الوجه.

« واذ تناولنا هذا الموضوع بالكتابة وجدناه متسعا اتساعا كبيرا اضطرنا الى تفريعه بوجه عام والى الالمام بالرمز الصوفي اطرف مدارسه وابدعها فكرا ، وربما نكون قد جلونا بعض الجوانب المفيدة في هذا الميدان.

« وخشينا حين انهينا هذا الفصل الواسع ان يظن المتأدب ان الادب العربي كله رموز ، فكان لابد لنا من تعديل هذا الظن ، ولما كان الادب الواقعي الجلي والتعبير الصريح اكثر استفاضة اخترنا مثلا واحدا منه وآثرنا ان يكون ذلك وصف الشعراء القدامى للازهار والرياحين والبقول والفاكهة ، لان هذه الهبات الطبيعية اقرب الامور من نفوسنا والصقها بالتعبير الفني ، حتى انها اصبحت منذ القديم وسائل للتعبير الفني نفسه ، ولقد صادفنا من اتساع الفول في هذا الموضوع ما جعلنا نكتفي بعرض الشعر تاركين للقارىء ان يتفكر في صيغة البيان وان يحلم مع الشاعر فينظر الى الاشياء نظرته الطريفة البديعة النضيرة .

« ثم شعرنا بكثرة المواد ، فرغبنا في تسلية القارىء والدخول معه في متحف الضحك والفكاهة العربيين ، وكان من الطبيعي حين طفنا في أبهاء ذلك المتحف ان ننتبه لمراحلهما التاريخية والاجتماعية بعد اذ تبينا في صدر الكتاب ماهية الفكاهة والضحك الهزلي ، واذا طما غمارهما وطفى وغط حتى غطى بعضا من ملامح المجتمع العربي القديم فقد قوينا على ذلك الغمار فأبرزنا ، من خلال امواجه والوانها الزرق البيض والمزبدة الصافية والمزبدة الناصعة ، أصناف العلاقات الانسانية واشكالها الاجتماعية المتطورة . »

الحق ان الكتاب في مجمله قطعة ادبية نفيسة ، فيه معلومات كثيرة دقيقة ، واشراقات فنية لامعة ، كما ان في الكتاب الوانا من البحث الادبي لم يتطرق اليها الباحثون في الادب العربي حتى الان ، والمؤلف يبدو عالما واديبا في وقت واحد يجمع بين ثقافة الغرب التي يفهمها ، وبين ثقافة العرب التي يحبها ، فلا يكاد يخرجه فهم الاولى عن حب الثانية ، ولا يكاد يخرجه حب الثانية عن فهم الاولى ، الا في النادر ، انه انسان متحضر وعربي متحمس ، وهو يحاول في جد واخلاص ان

يجمع العقل والقلب على صعيد واحد .

ورغم كل مابذله المؤلف من جهد فنحن نشعر ان الكتاب ينتقل احيانا من النهج العلمي في البحث ليعرض صورا وآراء ومشاعر خاصة، وانه يقع في استطرادات اطلقت من عنانها فهي لاتقف عند غاية ، وان هنالك افكارا ادبية عميقة طريفة مر بها الدكتور الاديب مرورا عابرا ، وهي تستحق وقفة طويلة وتحليلا كاملا .

نعم لقد اعلن الدكتور مرارا ان بحوثه اقرب الى الامتاع والادب منها الى التنقيب واقامة الدليل ، وما اظن فى ذلك ما يبرر هربه من البحث الجدي ، ذلك ان البحث في الادب العربي مايزال ـ وياللاسف ـ يهدف الى الامتاع ، ونحن نريد ان نخرجه من هذه الدائرة الى دائرة المنهج والوعي والتفلسف ، وليس اقدر على نقله من صعيده القديم الى صعيده الجديد من هذا المؤلف العربي الذي اجتمعت له الثقافة الغربية الحديثة على احسن حال والاطلاع الواسع على الادب العربي على خير حال ، والكتاب رغم محاولة الدكتور ان يبث فيه المتعة ، في مستوى علمي وفني راق ، ولا سيما في الفصول الثلاثة الاتية :

القيم الجمالية ـ فكرة الزمان في الشعر العربي ، والرمز في الادب العربي وخاصة فى أدب التصوف ، حين يحاق الكاتب مع المتصوفة، فيكاد يكون هو نفسه متصوفا .

والمؤلف متصوف أيضا في هذه القطعة الحلوة التي يختم بها مقدمة كتابه ، والتي تدل على أسلوب عربي متين فوق دلالتها على روحانية المتصوفين :

« خلاصة هذه المقدمة ان العربية كانت لغة العقل والقلب واليد لشعوب كثيرة لا للشعب العربي وحده في ابان عصور طويلة ، كانت لغة الارض ولغة السماء ، وأيا كان الامر فهي لغة الحب الكبرى فيها من الوان تعابيره الروحية ... ماليس في غيرها . وفي منطق سليم اذا تصور المسلمون أحوال الجنة في الاخرة وما ورد في حق أهلها من التمثيل باحوال أهل الدنيا فلا بد من ان يتخيلوا لهم لغة ، ولما كان القرآن الكريم كلام الله الذي تنزل على خاتم النبيين كانت لغة القرآن خليقة ان تكون لسان اهل الجنة . ونحن الذين شغفنا بسنا بيان العربية وتتبعنا آدابها في بطون الكتب الغابرة لم يتح لنا ان نشهد اسواق العرب كعكاظ ومجنة وذى المجاز والمربد وامثالها ولا ان نخرج الى البادية نلتقط نوادر ألفاظها من اشداق الاعراب ، فهل نأمل اذا تغمدنا المولى الكريم برحمته في عقبى الدار ان نعوض فنسمع اللهجة الصحيحة البديعة الصافية تختال شفافة ناصعة على ثغور الحور العين وهي باسمة ناعمة ؟ وعندئذ قديتاح لنا ان نقابل بين طربنا لتلك اللهجة في طلاوة الجرس ورخامة اللفظ وحلاوة الكلام وطربنا للهجات النساء العربيات المشهورات أمثال سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، اذ لابد ان يكون لكل لهجة .

هيهات ! بل نكون يومئذ « ولا زمان اذ ذاك » طامحين بقلوبنا الى النشوة الكبرى ، الا وهي سماع الصوت الاول الذي به بدأ خلق الكون . »

نشكر الدكتور على كتابه القيم ونرجو ان يقبل على قراءتهودراسته كل متتبع للادب العربي ، ففيه زاد ادبي طيب ، ومستوى فني رفيع ، ونزهة مابعدها نزهة في رياض الادب العربي .

حمص — عبد المعين الملوحي

صدر حديثا

الفجر آت يا عراق

للشاعر :

هلال ناجي

الديوان الذي يرهص بثورة العراق الاخيرة على الطاغية قاسم ويغني آمال الشعب العربي في العراق ونضاله في طريق الوحدة والاشتراكية والحرية .

قصائد من وحي ١٤ تموز وثورة الموصل وثورة ١٤ رمضان .

الثمن ليرتان لبنانيتان

منشورات :
دار الآداب ـ بيروت
مكتبة النهضة ـ بغداد

لماذا الاشتراكية العربية

بقلم لمعي المطيعي

*

تعيش الامة العربية اليوم في عصر جديد يختلف في مظاهره ومعالمه عن المرحلة السابقة . ابرز مثل لهذا التطور هو معنى الارتفاع فوق التقليد ومحاولة بلوغ مرحلة الابداع وتمثيل هذا المعنى في صورة اخرى هي الايمان بحقيقة شخصيتنا العربية ذات الملامح الواضحة العريقة المنطلقة مع ركب التطور مع التحرر من قبول المذاهب والافكار الوافدة قبول التبعية المنطوية على الاستسلام المطلق الذي قد يكون مصدره ضعف الامم المغلوبة امام افكار الامم المتقدمة ، واليوم ترانا وقد تحررنا من هذا القيد ولم نعد نقبل مذهبا او رأيا قبول التبعية او الاستيراد ، وانما نحن نؤمن بشخصيتنا اولا ثم نقبل من الافكار والاراء والمذاهب ما يوافقنا وما يعطينا حق القوة والحياة وفي مجال المذاهب الاشتراكية المتعددة بدأنا نصوغ اشتركيتنا العربية على نحو جديد يختلف عن عديد من صور الاشتراكية التي عرفها الشرق والغرب .

وقد كانت ابرز قسمات الاشتراكية العربية واضحة في القول بالتعايش السلمي بين النظامين والمعسكرين ، وصاحبت هذا الدعوة الى عدم الانحياز والحياد الايجابي .

ثم كشف المؤلف عن معالم الاشتراكية العربية التي بدأت مع ثورة ١٩٥٢ وتمثلت في الاصلاح الزراعي وازالة سيطرة راس المال والاحتكار والتصنيع وتاميم قناة السويس والمنشآت الهامة .

واشار الى ان اركان الاشتراكية العربية تتمثل في الاقتصاد الموجه والتخطيط وتوجيه الانتاج القومي والموازنة بين الملكية والفردية وملكية الدولة .

وقال ان جوهر الاشتراكية هو السعي الى عدل اجتماعي وتقليل الفوارق بين الطبقات متغلغلا في الروح العربية التي تأنف بطبعها عن الثراء الفاحش .

وعرض المؤلف للثقافة العربية الحديثة فقال ان علينا ان نطلق تراثنا العربي من عقاله وتقوم مدارسنا على اعمدة الفكر القومي وتعمل على تثبت اركان قوميتنا . وان تقوم المدرسة العربية التي تنهل من الثقافات الاخرى ولكنها تقف بحزم ضد الثقافات المسمومة التي تحتقر شعوبنا العربية . وان تخطط الثقافة والتعليم على اساس اجتماعي اشتراكي

وقد جمع المؤلف في كتابه بين نظريات العلم مبسطة واضحة وبين الدبلجة العربية المشرقة ، كما كان فاهما تمام الفهم للقضايا الشائكة المتعددة التي تحيط بمثل هذه الابحاث هاضما اياها بحيث استطاع ان يقدمها في اسلوب ادبي قريب من القارىء المتوسط مع المحافظة على مقومات الافكار والفلسفات .

وهكذا يمضي الاستاذ لمعي المطيعي في الطريق الذي شقه لنفسه :

لقد آمنا بحقنا في الحياة الحرة الكريمة ومن اجل ذلك بدأنا نتحدث عن اشتراكية عربية اصيلة الملامح واضحة القسمات . هذا هو ما اراد ان يكشف لنا عن جوانبه في كتابه الذي اضاف به الى المكتبة العربية جديدا واضحا في الكشف عن الظروف التي صاحبت ظهور الاشتراكيات وتطورها ، فهو يرى انه ليس من الممكن ان نضع خطوط الاشتراكية العربية دون ان ندرس عوامل الصعود والانهيار في الانظمة الاجتماعية الاخرى والظروف التي مهدت للقول باشتراكية عربية الى جانب الاشكال الاشتراكية الاخرى .

وقد كشف المؤلف عما تميز به القرن العشرون من صراع مذهبي حاد فقد كان كل نظام اجتماعي يعتقد انه النظام الاجتماعي السليم . وكيف تطورت هذه المذاهب بعد ان كانت جامدة ، وكيف ان كلا من النظامين الراسمالي والشيوعي قد اقتبس عن النظام الاخر الذي يعارضه فاخذت حدة الصراع المذهبي تخف وتسمح بالحديث عن انظمة اجتماعية اخرى ومن ثم ظهرت انظمة اخرى تمزج بين النظامين الديمقراطي والماركسي كما ظهرت نظريات جديدة كنظرية مراحل النمو ، وبدأت الاقطار الاشتراكية تزدهر وتتطور خاصة بعد ان دخل النظام الاستعماري مرحلة الانهيار .

بهذا النوع من الدراسات التي تتصل بالثقافة العربية في ظل اليقظة الفكرية الجديدة يطلع علينا المؤلف الذي سبق ان اصدر كتابيه الهامين : الطريق العربي الجديد والحياد الثقافي . وفي هذين الكتابين بالاضافة الى هذا الكتاب الجديد رسم الكاتب مفهوم الاتجاه الذي يتعين علينا ان نسير فيه في هذه الفترة ، وهو بناء شخصيتنا العربية على اسس واضحة من تراثنا وملامحنا الاصيلة مع تقبل خير ما في الثقافات الاجنبية المختلفة . ومزج هذا بشخصيتنا بحيث نكون محايدين ثقافيا لا نتبع واحدة منها ، ولا نستورد المبادىء او المذاهب ، وانما نأخذ منها ما يوافق طبيعتنا ويدفعنا الى الامام وهذه هي دعوة « المدرسة الوسطى » التي تنبثق اليوم عن مفاهيم صحيحة لواقعنا العربي والي هي عصارة نظرية المتناقضات المعروفة التي تكشف عن الموقف الواضح بين التيارات المتعارضة التي تصل الى اطراف اليمين او اطراف اليسار ، والتي ترى ان هناك قاعدة اساسية لكل شخصية قومية يجب ان يستند اليها الفكر ، وان شخصيتنا العربية لها قاعدة ضخمة من التراث والقيم العربية التي تميزت بها هذه الامة منذ اقدم العصور والتي قادتها الى تحقيق انتصاراتها وبروز بطولاتها وقيامها بدورها الفعال في الحضارة .

ولمعي المطيعي باحث عربي من ابرز المختصين بشؤون الثقافة بالمؤسسة العامة للنشر والمشرف على سلسلة « شخصيات ومذاهب » وهو من متخرجي قسم الفلسفة بجامعة القاهرة عام ١٩٥٠ وقد اشترك في اصدار عددا من الدراسات حول مستقبل الحضارة والشخصية الافريقية والصراع الفكري والسوق العربية المشتركة وفلسفة الانسان الحديث وقضية السود في اميركا كما ترجم كتاب الفكر التاريخي عند الاغريق لارنولد توينبي .

القاهرة — انور الجندي

في الاسواق

عيناك قدري

قصص

بقلم غادة السمان

الثمن ٣ ل.ل — منشورات دار الاداب